الخاتمـــــــــة

في بعض الحالات الخاصة التي هي مفيدة للمستطلعين، الذين يتمنون زيادة المعرفة في ســـوانحي وســـوانح آبائي وسوانح بعض إخواني في الدين

الحمـــد لله الذي جعل العلماء الروحانيين المحدَّثين وَرَثةَ النبيين، وأدبهـــم فأحسن تأديبهم، وأزال كدوراتهم كلها، وجعلهم كالماء المعـــين. وعلّمهم فصفّى علومهم، وعرّفهم فأتمّ معارفهم، وبلّغهم إلى مـــنارات حـــق اليقين. ووفّقهم فدَقَّ لوازم التوفيق في نيّاتهم وأعمالهم، وأفعالهم وأقوالهم، حتّى تَزكَّوا وتَراءَوا كسبيكة الذهب بـــلمع مـــبين. وشرح صدورهم، وأكمل نورهم، وجعل وجهه حبورهم وسرورهم، وجعلهم من غيره منقطعين. ورفع مقامهم، وثبّت أقدامهم، ونوّر أفهامهم، وطهّر فراستهم وإلهامهم، وأعطى جواهر السيوف أقلامهم، ولمعات الدر كلامهم، وآمنهم من كل خوف، وأعطاهم من كل شيء، فتبارك الله أكرم المعطين.

والصلاة والسلام على السيد الكريم الجليل الطيب، خاتم الأنبياء وفخر المرسلين، الذي سبق الأولين والآخرين في الاهتداء، والاصطفاء والاجتباء، والترحم على عباد الله، حتى سمي ببعض أسماء رب العالمين. لا شرف إلا وهو الأول فيه، ولا خير إلا وهو الدال عليه، ولا هداية إلا وهو منبعها، ومن ابتغى الهدى ممن سواه فهو من الهالكين.

أما **بعد**.. فأرى أيها الإخوان أن أفصل لكم قليلا من بعض حالاتي الخاصة، وحالات آبائي، لتزدادوا معرفة وبصيرةً، وما توفيقي إلا بالله الذي أنطقني من روحه، هو ربي ومحسني ومعلمي، وهو الذي نورني بأنوار اليقين.

فاعلموا يا إخوان أن اسمي **غلام أحمد**، واسم أبي غلام مرتضى، واسم أبيه عطا محمد، وكان عطا محمد ابن گُل محمد، وگُل محمد ابن فيض محمد، وفيض محمد ابن محمد قائم، ومحمد قائم ابن محمد أسلم، ومحمد أسلم ابن محمد دلاور، ومحمد دلاور ابن إله دين، وإله دين ابن جعفر بيگ، وجعفر بيگ ابن محمد بيگ، ومحمد بيگ ابن عبد الباقي، وعبد الباقي ابن محمد سلطان، ومحمد سلطان ابن ميرزا هادي بيگ المورث الأعلى. فذلك اسمي وهذه أسماء آبائي، غفر الله لنا ولهم وهو أرحم الراحمين.

وإن اســـتطلعتم علاماتٍ لا بد منها في إيصال المكاتيب إليّ.. فاكتـــبوا هكذا على لفافة مكتوبكم.. أعني بذلك: قاديان.. ضلع كورداســـبوره .. قسمة أمرتسر.. ملك فنجاب من ممالك هند، واكتبوا عليه اسمي: "ميرزا غلام أحمد قادياني"، يصلني إن شاء الله تعالى، وهو خير الموصلين.

والآن أبين لكم من بعض واقعات أرى في تبيينها خيرا وبركة، وتفهيم ما لا تعلمون بعلم اليقين.

فاعلموا أيها السّادة أنّ آبائي – كما ذكرت فيما مر – كانوا مـــن عظماء الحراثين، وكانت صناعتهم الفلاحة، وكانوا من أهل الإمـــارة والقـــرى والأرضين. وكانوا من أكرمِ جرثومة، وأطهرِ أَرومة، ذوي فضل ووجاهة، وسَيدودة ونباهة، بُناة المجد وأرباب الجد ومن المقبولين. وكانوا في زوايا هذه الأرض خبايا وبقايا من الأمراء الصالحين. وبعضهم كان من مشاهير المشايخ ونادرة الدهر في الـــتزام دقـــائق العفة وأنواع الصالحات، وصاحب الأوقات، المشـــهود بالكـــرامات والآيات وخرق العادات، ومن المتعبدين المنقطعين. وكانوا في هذه الأرض ثاوين في الكفرة الفجرة، فصُبّت علـــيهم مـــا صبت، وقد ذكرناها من قبل للناظرين. وكنا ذرية ضعفاء من بعدهم ومن المستضعفين.

ولما مكر"الخالصة" مكرهم، وأخرجوا آباءنا من ديارهم، توفي جدي في الغربة، وسمعت أنه مات وهو من المسمومين. وبقي أبي يتيما غريبا مسافرا خاوِيَ الوفاض، بادِيَ الإنفاض، مضروبَ النوازل كالملمّ في الليل المدلهمّ، يجوب طرقات البلاد مثل الهائم ما يدري ما الشمال ولا اليمين. وكان شغل أبي في تلك الأيام مكابدة صعوبة الأسفار أو مطالعة الأسفار، وسمعت منه – غفر الله له – مرارا أنه كان يقول: كل ما قرأت قرأته في أيام المصائب والغربة والتباعد من الدار. وكان يقول مرارا إني جربت الخاص والعام كما يجرب الحائر الوحيد، ورأيت مَكارهَ كنتُ منها أَحيد، وكان من المزؤودين. فكان أبي طالما سار كمستهام ليس له قيام، لأنه كان أُخرجَ من أرض الآباء، وصُدّ عن الانكفاء، وكان عرضة لنزوات الظالمين وإعنات المؤذين وغِيل المغتالين وسلبِ السالبين، وطُعمةً للمغيرين وأسيرًا في أكف الضائمين. ثم بعد تراخي الأمد وتلاقي الكَمَد، قصَد "كشميرَ" يستقري أسباب المعاش، لعل الله يدرأ بلاءه، ويدفع داءه، ويأتي قضاؤه بأيام الاطْرِغْشاش، ويكون من المطعمين.

وقد اتفق في تلك الأيام أن ربي ألبسني خلعة الوجود، ونقلني من زوايا الكتم إلى مناظر الشهود، وصرت على مسقط رأسي من الساجدين. وكانت هذه هي الأيام التي بدل الله أبي من بعد

خوفـــه أمنا، ومن بعد عسره يسرا، وصار من المنعمين. وأوى له الوالي، ورقّ قلبه لمصيبته ومِن غِيَرِ الليالي، فلما كلّمه ورأى الوالي ما أعطاه الله من العلم والعقل والطبع العالي، شهد توسّمه بأنه من أبهى اللآلي، فصبا إلى الإسعاف والاختصاص، والتسليك في زمرة الخواص، وقال: لا تخف، إنك اليوم من أعواننا المكرمين. وكذلك مكّن الله أبي وحبّبه إلى أعينهم، ووهب لـــه عزة وقبولا وميسرة، ونظر إليه إنعامًا ومياسرة، وكان هذا فضل الله ورحمته وهو أرحم الراحمين.

وسمعت أمي تقول لي مرارًا: إن أيامنا بُدّلت من يوم ولادتك، وكـــنا مـــن قبل في شدائد ومصائب، وذا أنواع كروبٍ ومحنٍ، فجاءنا كل خير بمجيئك، وأنت من المباركين.

وكان أبي يعرج من مرتبة إلى أخرى، ومن عالية إلى عليا، حتى عـــرج إلى معـــارج الإقـــبال، وخلع الله عليه من خُلَعِ الإكرام والإجلال، وما أَلَتَه من شيء، وصار من المتمولين.

ثم غلـــب علـــيه تذكار الوطن، والحنين إلى المسارح المهجورة والعطـــن، فقـــوّض خيام الغربة والغيبة، وأسرجَ جواد الأَوبة إلى الأهـــل والعشـــيرة، ورجـــع سالـــمًا غانـــمًا إلى العترة بنضرةٍ وخضـــرةٍ ومـــتاعٍ وأثاثٍ، رحيبَ الباع، خصيب الرِّبَاع. وكان

ذلك فعل الله الذي أذهب عنّا حزننا، وأماط شَجننا، ومَنّ علينا، وتولى وتكفل وأحسن إلينا، وهو خير المحسنين.

ثم عـــزم أبي عـــلى أن يسبر بخته في الزراعات، لينجو من السفر المبرِّح، والبين المطوِّح من الأهل والبنين والبنات، فاستحسن لنفسه اتخـــاذ الضـــياع، والتصدي للازدراع، فأحمدَ بفضل الله معيشتُه، واسترغدَ فيها عيشتُه، ورُدّ عليه قليل من القرى، التي غُصبت من الآباء في زمن خلا. وقواه الله بعد ضعف المريرة، وبارك الله له في أشياء كانت من قبل نَكِدَ الحظيرة. وكل ذلك كان من فضل الله ورحمـــته، وإن خفـــي عـــلى المحجوبين، ليتم قول رسوله ﷺ إن **الموعود** الآتي يكون من الحارثين.

هـــذا قليل من سوانح أيام ولادتي وصغر سني. ولما ترعرعتُ ووضـــعتُ قدمي في الشباب، قرأتُ قليلا من الفارسية، ونبذة من رسائل الصرف والنحو وعدة من علوم تعميقية، وشيئًا يسيرًا من كتـــب الطب. وكان أبي عَرّافًا حاذقًا، وكانت لـــه يد طولى في هذا الفن، فعلمني من بعض كتب هذه الصناعة، وأطال القول في الترغيب لكسب الكمال فيها، فقرأت ما شاء الله، ثم لم أجد قلبي إلـــيه مـــن الراغبين. وكذلك لم يتفق لي التوغل في علم الحديث والأصـــول والفقه إلا كطلّ من الوَبْل، وما وجدتُ بالي مائلا إلى

أن أشـــمّر عن ساق الجد لتحصل تلك العلوم، وأستحصل ظواهر إسنادها، أو أقيم كالمحدثين سلسلة الأسانيد لكتب الحديث.

وكنـــت أحـــب زمرة الروحانيين. وكنت أجد قلبي مائلا إلى **القرآن** ودقائقها ونكاتها ومعارفها. وكان القرآن قد شغفني حبا، ورأيت أنه يعطيني من أنواع المعارف وأصناف الأثمار لا مقطوعة ولا ممنوعة، ورأيت أنه يقوي الإيمان ويزيد في اليقين.

ووالله إنـــه **دُرّة يتـــيمة**. ظاهره نور، وباطنه نور، وفوقه نور، وتحـــته نـــور، وفي كل لفظه وكلمته نور. جنّة روحانية، ذُلِّلتْ قُطوفهـــا تذليلا، وتجري من تحته الأنهار. كل ثمرة السعادة توجد فـــيه، وكل قبس يُقتبس منه، ومن دونه خَرْطُ القَتاد. موارد فيضه ســـائغة، فطوبى للشاربين. وقد قُذف في قلبي أنوار منه ما كان لي أن أستحصلها بطريق آخر.

ووالله لو لا القرآن ما كان لي لطف حياتي. رأيتُ حسنه أزيد من مائة ألف يوسف، فملت إليه أشد ميلي، وأُشْرِبَ هو في قلبي. هـــو ربـــاني كمـــا يربى الجنين. وله في قلبي أثر عجيب، وحسنه يـــراودني عـــن نفسي. وإني أدركت بالكشف أن حظيرة القدس تســـقى بماء القرآن. وهو بحر مواج من ماء الحياة، من شرب منه فهـــو يحيا بل يكون من المحيين. ووالله إني أرى وجهه أحسن من كـــل شيء. وجه أُفرِغَ في قالب الجمال، وأُلبس من الحسن حلّةَ

الكمال. وإني أجده كجميل رشيق القد، أسيلِ الخد، أُعطيَ لـــه نصـــيب كامل من تناسب الأعضاء، وأُسبغت عليه كل ملاحـــة بالاســـتيفاء، وكل نور وكل نوع الضياء. وضيئٌ.. أعطي له حظ تـــام مـــن كـــل مـــا ينبغي في المحبوبين من الاعتدالات المرضية، والملاحات المتخطفة، كمثل حَوَرِ العيون، وبَلَجِ الحواجب، ولَهَبِ الخـــدود، وهَـــيَف الخصور، وشَنَب الثغور، وفَلَجِ المباسم، وشمم الأنـــوف، وسَقَمِ الجفون، وتَرَفِ البنان، والطُّرر المزينة، وكل ما يُصبي القلوبَ ويسرّ الأعين ويُستملح في الحسين.

ومـــن دونه كل ما يوجد من الكتب، فهي نَسَمة خِداجٍ، أو كمضـــغة مسقَطة غيرِ دِماج، إن كانت عين فلا أنف، وإن كان أنـــف فلا عين، وترى وجوهها مكروهة مسنونة ملوَّحة. ومثلها كمثل امرأة إذا كُشف برقعها وقناعها عن وجهها فإذا هي كريهة المـــنظر جدا، قد رُمي جفنُها بالعَمَش، وخَدّها بالنَمَش، وذوائبها بـــالجَلَح، ودُررهـــا بالقَلَح، ووردُها بالبُهار، ومِسكها بالبُخار، وبدرها بالـــمُحاق، وقمرها بالانشقاق، وشعاعُها بالظلام، وقوتها بالشـــيب التام. فهي كجيفة متعفـــنة، نَتنة مُنتـــنة، تؤذي شامّة الـــناس، وتستأصل سرور الأعين، يتباكَونَ أهـــلُها لافتضاحهم، ويتمنى النظيفون أن يدسّوها في تراب، أو يذبّون عن أنفسهم إلى أسفل السافلين.

فـــالحمد لله ثم الحمد لله أنه أنالني حظًا وافرًا من أنواره، وأزال إملاقـــي مـــن دُرره، وأشـــبع بطني من أثماره، ومنح بي من النعم الظاهرة والباطنة، وجعلني من المجذوبين. وكنت شابًا وقد شختُ، ومـــا استفتحت بابًا إلا فتحت، وما سألت من نعمة إلا أعطيت، ومـــا استكشـــفت من أمرٍ إلا كشفت، وما ابتهلت في دعاءٍ إلا أجيبت، وكل ذلك من حبي بالقرآن، وحبّ سيدي وإمامي سيد المرســـلين، الـــلهم صل وسلم عليه بعدد نجوم السماوات وذرات الأرضـــين. ومن أجل هذا الحب الذي كان في فطرتي، كان الله معي من أول أمري، حين ولدت وحين كنت ضريعا عند ظِئْري، وحين كنت أقرأ في المتعلمين.

وقـــد حُبِّبَ إلي منذ دنوت العشرين أن أنصر الدين، وأجادل الـــبراهمة والقسيســـين. وقـــد ألفت في هذه المناظرات مصنفات عديدة، ومؤلفات مفيدة، منها كتابي: "**البراهين**". كتاب نادر ما نُسج على منواله في أيام خالية، فليقرأه من كان من المرتابين. قد ســـللت فيه صوارم الحجج القطعية على أقوال الملحدين، ورميت بشهبها الشياطين المبطلين. قد خفض هام كل معاند بذلك السيف المســـلول، وتبيّنت فضيحتهم بين أرباب المنقول والمعقول، وبين المنصفين. فيه دقائق العلوم وشواردها، والإلهامات الطيبة الصحيحة والكشوف الجليلة ومواردها، ومن كل ما يجلّي درر معارف الدين

المـــتين. ولي كتـــب أخـــرى تشابهه في الكمال، منها: الكحل، والتوضيح، والإزالة، وفتح الإسلام، وكتاب آخر سبق كلها ألفته في هـــذه الأيـــام، اسمـــه: "دافع الوساوس"، هو نافع جدًا للذين يريدون أن يروا حسن الإسلام، ويكفّون أفواه المخالفين.

تلـــك كتب ينظر إليها كل مسلم بعين المحبة والمودة وينتفع من معارفهـــا، ويقبَلني ويصدّق دعوتي، إلا ذريةَ البغايا الذين ختم الله على قلوبهم فهم لا يقبلون.

ولمـــا بلغـــت أشد عمري وبلغت أربعين سنة، جاءتني نسيم الوحـــي بِـــرَيًّا عناياتِ ربي، ليزيد معرفتي ويقيني، ويرتفع حجبي وأكون من المستيقنين. فأول ما فتح عليّ بابه هو الرؤيا الصالحة، فكنـــت لا أرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. وإني رأيت في تلك الأيام رؤيا صالحة صادقة قريبًا من ألفين أو أكثر من ذلك.. منها محفوظة في حافظتي وكثير منها نسيتها، ولعل الله يكررها في وقت آخر ونحن من الآملين.

ورأيت في غُلَواء شبابي وعند دواعي التصابي، كأني دخلتُ في مكان وفيه حفدتي وخدمي، فقلتُ: طهّروا فراشي، فإن وقتي قد جاء. ثم استيقظتُ وخشيت على نفسي وذهب وَهْلي إلى أنني من المائتين.

ورأيت ذات ليلة وأنا غلام حديث السن كأني في بيت لطيف نظيف، يُذكَر فيها رسول الله ﷺ. فقلتُ: أيها الناس، أين رسول الله ﷺ؟ فأشاروا إلى حجرة، فدخلت مع الداخلين. فبشّ بي حين وافيته، وحيّاني بأحسن ما حييتُه، وما أنسى حسنه وجماله وملاحته وتحننه إلى يومي هذا. شغفني حبًا وجذبني بوجه حسين. قال: ما هـــذا بيميـــنك يا أحمد؟ فنظرت فإذا كتاب بيدي اليمنى، وخطر بقلبي أنه من مصنفاتي، قلتُ: يا رسول الله.. كتاب من مصنفاتي. قـــال: مـــا اســـم كتابك؟ فنظرت إلى الكتاب مرة أخرى وأنا كالمـــتحيرين، فوجدتـــه يشـــابه كتابًا كان في دار كتبي واسمه: "قطـــبي". قلـــت: يـــا رسول الله، اسمه قطبي. قال: أرِني كتابك القطـــبي. فلما أخذه ومسّته يده إذا هي ثمرة لطيفة تسرّ الناظرين. فشققها كما يشقق الثمر، فخرج منها عسل مصفى كماء مَعينٍ. ورأيـــت بَلّـــةَ العسل على يده اليمنى من البنان إلى المرفق، كان العســـل يتقاطر منها.. وكأنه يريني إياه ليجعلني من المتعجبين. ثم أُلقـــي في قلـــبي أن عند أُسْكُفّة البيت ميّت قدر الله إحياءه بهذه الـــثمرة، وقـــدّر أن يكون النبي ﷺ من المحيين. فبينما أنا في ذلك الخـــيال فإذا الميّتُ جاءني حيا وهو يسعى وقام وراء ظهري، وفيه ضعف كأنه من الجائعين. فنظر النبي ﷺ إلي متبسما، وجعل الثمرة قطعات وأكل قطعة منها، وآتاني كل ما بقي، والعسل يجري من

القطعـــات كـــلها، وقال: يا أحمد.. أعطه قطعةً من هذه ليأكل ويتقوى. فأعطيته، فأخذ يأكل على مقامه كالحريصين. ثم رأيتُ أن كُرســـي النبي ﷺ قد رُفع حتى قرب من السقف، ورأيته فإذا وجهـــه يـــتلألأُ كأن الشمس والقمر ذُرّتا عليه، وكنت أنظر إليه وعبراتي جارية ذوقًا ووجدًا، ثم استيقظت وأنا من الباكين.

فألقى الله في قلبي أن الميّت هو الإسلام، وسيُحييه الله على يدي بفـــيوض روحانـــية من رسول الله ﷺ، وما يدريكم لعل الوقت قريب، فكونوا من المتنظرين. وفي هذه الرؤيا رباني رسول الله ﷺ بـــيده وكلامه وأنواره وهدية أثماره. فأنا تلميذه بلا واسطة بيني وبينه، وكذلك شأن المحدَّثين.

وكنت ذات يوم فرغت من فريضة المساء وسننها، وأنا مستيقظ ما أخذني نوم ولا سنة وما كنت من النائمين. فبينما أنا كذلك إذا سمعـــت صـــوت صَـــكِّ الـــباب. فنظرت فإذا المدَكُّون يأتونني مسارعين. فإذا دنَوا مني عرفتُ أنهم خمسة مباركة.. أعني عليًّا مع ابنـــيه وزوجته الزهراء وسيد المرسلين. اللهم صل وسلم عليه وآله إلى يـــوم الديـــن. ورأيت أن الزهراء وضعتْ رأسي على فخذها ونظرتْ بنظرات تحنن كنتُ أعرف في وجهها. ففهمتُ في نفسي أن لي نسبة بالحسين وأشابهه في بعض صفاته وسوانحه، والله يعلم وهـــو أعلم العالمين. ورأيتُ أن عليًّا رضي الله عنه يريني كتابًا ويقول هذا

تفسير القرآن.. أنا ألفته، وأمرني ربي أن أعطيك. فبسطتُ إليه يدي وأخذتُه. وكان رسول الله ﷺ يرى ويسمع ولا يتكلم كأنه حزين لأجل بعض أحزاني، ورأيته فإذا الوجه هو الوجه الذي رأيتُ من قبل، أنارت البيت من نوره، فسبحان الله خالق النور والنورانيين.

وكنت ذات ليلة أكتب شيئا فنمت بين ذلك، فرأيت رسول الله ﷺ ووجهه كالبدر التام، فدنا مني كأنه يريد أن يعانقني فكان من المعانقين. ورأيت أن الأنوار قد سطعت من وجهه ونزلت عليّ، كنت أراها كالأنوار المحسوسة حتى أَيقَنتُ أني أدركها بالحس لا ببصر الروح. وما رأيتُ أنه انفصل مني بعد المعانقة، وما رأيتُ أنه كان ذاهبا كالذاهبين.

ثم بعد تلك الأيام، فُتحت عليّ أبواب الإلهام، وخاطبني ربي وقال:

"يا أحمد، بارك الله فيك. الرحمن علّم القرآن، لتنذر قومًا ما أُنذرَ آباؤهم، ولتستبين سبيل المجرمين. قُلْ إني أُمرتُ وأنا أول المؤمنين. يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة. إنك اليوم لدينا مكين أمين. أنت مني بمنزلة توحيدي وتفريدي، فحان أن تعان وتعرف بين الناس. ويعلمك الله من عنده. تقيم

الشـــريعة وتحيي الدين. إنا جعلناك المسيح بن مريم. والله يعصمك مـــن عـــنده ولو لم يعصمك الناس. والله ينصرك ولو لم ينصرك الـــناس. الحـــق من ربك فلا تكونن من الممترين. يا أحمدي أنت مـــرادي ومعي. أنت وجيهٌ في حضرتي. اخترتك لنفسي. قل إن كنـــتم تحبون الله فاتبعوني يحبِبْكم الله ويغفِرْ لكم ذنوبكم ويرحَمْ عليكم وهو أرحم الراحمين."

هذه نبذة من إلهاماتي، ومن جملتها إلهام: "إنا جعلناك المسيح بن مريم." **ووالله** قد كنت أعلم من أيام مديدة أنني جُعِلت المسيح ابن مريم، وأني نازلٌ في منـــزله، ولكن أَخفيته نظرًا إلى تأويله، بل مـــا بدلـــت عقيدتي وكنت عليها من المستمسكين. وتوقفت في الإظهار عشر سنين، وما استعجلتُ وما بادرتُ وما أخبرتُ حبًّا ولا عـــدوّا ولا أحـــدًا من الحاضرين. وإن كنتم في شك فاسألوا عـــلماء الهـــند كـــم مضت من مدة على إلهامي: ﴿يا عيسى إني متوفيك﴾، أو اقرؤوا "**البراهين**".

وكنـــت أنتظر الخِيَرة والرضاء وأمر الله تعالى حتى تكرر ذلك الإلهـــام، ورُفع الظلام، وتواتر الإعلام، وبلغ إلى عدة يعلمها رب العـــالمين. وخوطبت للإظهار بقوله: (فاصْدَعْ بما تؤمر)، وظهرت علامـــات تعرفها حاسة الأولياء وعقل أرباب الاصطفاء، وجُلّي

الصـــبح، وأكّـــد الأمـــر، وشرح الصدر، واطمأن الجنان، وأفتى القلب، وتبين أنه وحي الله لا تلبيس الشياطين.

ثم ما اكتفيت بهذا بل عرضته على الكتاب والسنة، ودعوت الله أن يؤيـــدني، فدقّق الله نظري فيهما وجعلني من المؤيَّدين. وظهر عليّ بالنصوص البينة، القرآنية والحديثية، أن المسيح بن مريم عليه السلام قد تُوفي ولحِق بإخوانه من النبيين.

وكنت أعلم أن وفاة المسيح حق ثابت بالنصوص البيّنة القطعية، القرآنـــية والحديثية، وأعلم أن إلهامي لا غبار عليه ولا تلبيس ولا تخليط، ومع ذلك كان يقيني بأن اعتقاد المسلمين في نزول المسيح حـــق لا شـــبهة فيه ولا ريب، فعسُر عليّ تطبيقهما وكنت من المتحيرين. فما قنعت بالنصوص فقط، لأني وجدت في الأحاديث رائحـــة قليلة يسيرة من دُخْن الاختلاف بظاهر النظر، وإن كانت الدلائـــل القوية القاطعة معنا وبأيدينا، وكان القرآن معنا كله، بل ابتغيـــت معـــرفة تامةً نقية بيضاء التي يتلألأ كل شق من شقوقها وتبلّغ إلى الحق اليقين.

فتضـــرعتُ في حضـــرة الله تعـــالى، وطرحت بين يديه متمنيًا لكشف سر النـــزول وكشف حقيقة الدجال، لأعلمه علم اليقين وأرى به عين اليقين، فتوجهت عنايته لتعليمي وتفهيمي، وأُلهِمتُ وعُلِّمتُ من لدنه أن النـــزول في أصل مفهومه حق، ولكن ما فهم

المسلمون حقيقته، لأن الله تعالى أراد إخفاءه، فغلب قضاؤه ومكره وابتلاؤه على الأفهام، فصرَف وجوههم عن الحقيقة الروحانية إلى الخيالات الجسمانية، فكانوا بها من القانعين. وبقي هذا الخبر مكتومًا مستورًا كالحَبّ في السنبلة، قرنا بعد قرن، حتى جاء زماننا، واغترب الإسلام، وكثرت الآثام، وغلبت ملة عبدة الصليب، فصالوا على المسلمين بالافتراء والمَين، وأحلُّوا سَفْكَ عُشّاقٍ كانوا كصيد الحرمَين. فصُبّت علينا مصائب كنا لا نستطيع إحصاءها، وضاقت الأرض علينا، وتورمت مُقلتنا باستشراف الناصرين. فأراد الله أن يأتي بصبح الصداقة، ويعين طلاب الحقيقة، من الأعالي والأداني، بنَضْوِ الوِشاح عن مخدَّرة المعاني، ويشفي صدور المؤمنين. وكنا أحق بها وأهلها لأنا رأينا بأعيننا إطراء المسيح وازدراء المصطفى، ودعوة الناس إلى ألوهيّة ابن مريم وسبِّ خير الورى ﷺ، وسمعنا السبّ مع الشرك والمَين، وأُحرقنا بالنارَين. فكشف الله الحقيقة علينا، لتكون النار علينا بردًا وسلامًا، وكان حقا على الله نصر المضطرين. فأخبرني ربي أن النزول روحاني لا جسماني، وقد مضى نظيره في سنن الأولين. وإن الله لا يبدل سنته ولا عاداته، ولا يكلف نفسًا إلا وسعها، وكذلك يفعل وهو خير الفاعلين.

والســـر في ذلك أن للأنبياء، عند هبِّ الأهوية المهلكة وابتداع المســـالك الشاغرة، تدلّيات وتنـــزلات إلى هذا العالم، فإذا جاء وقـــتُ تدلّي نبي ونـــزوله بمجيء فتنة تؤذيه، يطلب من ربه محط أنـــواره، ومظهـــر إرادته وأنظاره، ووارث روحانيته، ليكون هذا المظهـــر لـــه من المنشطين. فيعدّ لـــه ربه عبدًا من عباده، ويلقي إراداتـــه في قلبه، فيكون هذا العبد أشدَّ مناسبة وأقربَ جوهرًا من ذلـــك النبي، ويشابهه من حيث الهوية المبعوثية مشابهةً تامةً كاملة كأنّه هو، ويكمل ما تَزيَّفَ في قومه المخذولين. وذلك سر عظيم مـــن الأسرار السماوية، ما يفهمه عقول سطحية، ولا يلقّاها إلا الذيـــن أوتوا العلم من عند الله، وما كان لعين لاقت الاعتلال أن تجتلي الهلال، فطوبى للمبصرين.

وقـــد جرت عادة الله تعالى على أنه لا يكشف قناع الأخبار الآتـــية مـــن كـــل جهـــة إلا في وقتها، ويبقي قبل الوقت بعض إغماضـــات ومعان مطوية ومستورة مكتومة، ابتلاء للذين يجدون زمـــان ظهورهـــا، فـــيفضّ الختم في زمانهم، ليهينهم أو يكرمهم بامتحانهم، وقد مضت سنته في فتنة المسلمين. ولا يرفع الأمان من ذلـــك،[1] لأن الأمـــر المقصود يبقى على حاله، مع قرائنه القوية

[1] الأصـــل المحكم والخفير الأعظم في طرق المكاشفات الذي هو كقانون عاصم من سوء الفهم في تفسير النبوات الواقعة في هذا العالم العنصري علم

وصـــفاء زلالـــه، فلا يتطرق الاختلال إليه، وإنما يجدد الله حلل ظهـــوره في أعين الناس، ليرى من يعقد حَبْكَ النطاق للرحلة من خريبته كانوا آباؤه فيه ساكنين. والحق أن كل ظن فاسد ينشأ من ســـوء الفهم، وأما وعد الله فهو يظهر بلا خلاف، والله لا يخلف المـــيعاد. وكم مِن وعود أسنى لنا ثم أنجزَ لنا كما وعد وهو خير المـــنجزين. ولعمـــري، إن الســـفهاء لم يحفظوا كلام الله كله في أذهـــانهم، وآمنوا ببعض الآيات وكفروا ببعضها، وجعلوا القرآن والحديـــث عِضـــينَ. وأراهـــم أســـارى في سلاسل الاختلافات والتشـــاجرات، ولو أنهم تفكروا للتطبيق لفتح الله عليهم بابا من

تـــأويل الأحاديث الذي يعطى للصديقين. ولا يجوز صرفُ أمـــرٍ كشفي عـــن التأويلات المصرحة في هذا العلم إلا عند قيام قرينة قوية موصلة إلى الـــيقين، لأن هذا العلم إنما جُعل بمنـــزلة لغة كاشفة لأسرار المكاشفات، أُحكمـــتْ قواعدها وفُرض اتباعها للمؤمنينً. فكما أن اللغات المستعملة الجارية على الألسنة قاضية لحل التنازعات اللغوية في العالم السفلي وحجة قاطعة للمتكلمين، كذلك علم تأويل الأحاديث وقواعده التي رتبها لسان الأزل حكـــم مسلم لقضاء التنازعات الكشفية، ومن أبى هذا الحكم فقد جار جورا عظيما وهو من الظالمين. مثلا إذا احتذيت حذاء في رؤياك فلا يجـــوز لـــك عـــند تأويله أن تعني من الحذاء ما يُعنى في لغات هذا العالم الســـفلي، بـــل يجـــب علـــيك أن ترجع إلى لغة وضعها الله لذلك العلم الـــروحاني، فـــتؤول الحـــذاء زوجةً أو وُسْعَةَ معاش. فخُذْ هذا السر فإنه ينجيك من آفات المخطئين. منه.

أبـــواب المعرفة، ولكن غضوا وتركوا القرآن مهجورا، فطبع الله على قلوبهم وتركهم ضالين.

أما الدجال فاسمعوا أبين لكم حقيقته من صفاء إلهامي وزلالي، وهـــو حجـــة قاطعة ثقِّفت للمخالفين تثقيف العوالي، خذوه ولا تكونوا ناسين أو متناسين.

أيهـــا الأعزة! قد كشف علي أن وحدة الدجال ليست وحدة شخصـــية، بل وحدة نوعية، بمعنى اتحاد الآراء في نوع الدجالية، كما يدل عليه لفظ الدجال، وإن في هذا الاسم آياتٍ للمتفكرين. فالمـــراد مـــن لفظ الدجال سلسلة ملتئمة من همم دجالية، بعضها ظهـــير للبعض، كأنها بنيان مرصوص من لَبِنٍ متحدة القالب، كل لبـــنة تشـــارك ما يليها في لونها وقوامها ومقدارها واستحكامها، وأُدخلـــت بعضـــها في بعض، وأشيدت من خارجها بالطين، أو كركـــبٍ ردِف بعضهم بعضا، وهم – ممتطين شِمِلّةً مُشمعِلّة – يُرَون من شدة سرعتها رجلا واحدا في أعين الناظرين. ونظيره في القـــرآن خبر الدخان، فإنه كان سلسلة خيالات متفرقة من شدة الجوع، وسمي بشيء واحد وقيل ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾[1] وهذا سر لا يعرفها إلا العرّافة، وما يُطلّ عليه فهمُ الغبِيّين.

---

[1] *سورة الدخان: ١١*

وقـــد جـــرت عادة الناس، عربا وعجما، أنهم إذا رأوا كيفية وحدانية في أفراد فيُنـــزلونها في منـــزل الواحد، نحو أدوية مختلفة، فـــإذا خُلط بعضها ببعض، ودُقّ وسُحق وحصل لها مزاج واحد، وأثـــر واحد، فما عليك من ذنب إن قلت إنه شيء واحد حصل من العجين.

وأنـــت تعلم أن الناس إذا اجتمعوا في أرض وألقوا فيها مراسي الســـكون، وحصـــل لهم نظام تمدني وتعلقَ بعضهم بالبعض تعلقا مســـتحكما، وتحقـــقَ النســـب والإضافات غير قابلة الانفكاك والـــزوال، واســـتقرّوا ومـــا أرادوا أن يرتحلوا منها إلى أرض من الأرضـــين، فـــإن شئت تسمي مجموعتهم: "بلدة"، وتجري على جماعـــتهم أحكام الواحد، وما هو واحد في الحقيقة، وما أنت من الملومـــين. وإن اتفق أنهم جاءوك للقائك فإن شئت قلت: "جاءني الـــبلد"، وذكرتهم كما يذكر الفرد الواحد، وما يعترض عليك إلا جاهل أو الذي كان من المتجاهلين. فكما أن الأماكن يطلق عليها اسم الواحد مع أنها ليست بواحدة، كذلك لا يخفى على القرائح الســـليمة، والذيـــن لهم حظ من أساليب لسان العرب ولطائف اســـتعاراتهم، أن أذيـــال هـــذه الاستعارات مبسوطة ممتدة جدًا، وليست محدودة في مورد خاص، فانظر حتى يأتيك اليقين.

وعجبت لقوم يزعمون في الدجال أنه رجل من الرجال، ويقولون إنه كان في زمن رسول الله ﷺ وهو إلى الآن من الموجودين. أُفٍّ لهم ولوهنِ رأيهم.. كيف يحكمون! ألا يعلمون أن رسول الله ﷺ قال: أقسم بالله، ما على الأرض من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ. يعني بذلك أن الناس كلهم يموتون إلى مضي المائة، وما يكون فرد من الباقين. فما لهم يقرؤون "البخاري" و"المسلم" ثم يضلون المسلمين؟

أيها الأعزة، إن في هذا الاعتقاد مصيبتان عظيمتان قد أزجتا كثيرا من الناس إلى نيران الكفران، ومنعتاهم من مرتع الجِنان، فلا تخطوا صراطكم ولا تكونوا من المتخطين. أُولاهما المصيبة التي قد ذكرت من استلزام تكذيب قول النبي ﷺ الذي أكده بالقسم، فإياكم وسوء الأدب وكونوا من المتأدبين. لا تقدِّموا بين يدي الله ورسوله، ولا تعصوا بعد ما بين لكم رسول الله ﷺ، واعلموا أنه صادق صدوق ما ينطق عن الهوى.. إن هو إلا وحي يوحى. فاخفضوا جناح الذل، ولا تأبوا قول رسول الله ﷺ إن كنتم صالحين.

والمصيبة الثانية ظاهرة لا حاجة لها إلى البيان. ألا ترون إلى الفرقان وتعليم الرحمن.. كيف أقام الناس على توحيد عظيم ونهاهم عن سَنَنِ المشركين؟ فتفكروا في قلوبكم..كيف يمكن أن

يخـــرج الدجـــال كما تزعمون، ويحيي الأموات ويري الآيات، ويســـخر السحاب والشمس والقمر والبحار، وكان أمره إذا أراد شيئًا أن يقول لـــه كن فيكون؟ أهذا ما عُلّمتم من القرآن؟ أهذا تعلـــيم الفـــرقان؟ أهذا الذي سُفك له دماءُ سراة العرب وعظائمِ القريش ببدرٍ وفي كل مصافّ، وهضَمهم المسلمون هَضْمَ متلاف؟ اشهدوا ولا تكونوا من الكاتمين. كيف ينسخ تعليم القرآن وينبذ كالقشر، ويفيء المَنْشَرُ المَطْوِيّ إلى النشر، ويجيء الدجال المفاجئ لتضـــليل نوع البشر؟ لم تخرجون من خُلَع الصداقة وتنسون يوم الحشر؟ وتفسدون في الأرض بعد إصلاحها، اتقوا الله ولا تكونوا مـــن المعتدين. أيمكن أن السيّد الذي كسر الأصنام بالعصا، وإذا سُـــئل أغـــير الله قادر قال لا، أهو يعلّمكم أمورا خلاف القرآن الكريم وخلاف التوحيد العظيم؟ كلا.. إنه أغير من كل غيور لله وتوحيده، فلا تفتروا عليه عَضيهة ولا تكونوا فريسة الشياطين.

هذان بلاءان في اعتقادكم، ومصيبتان على دينكم وتوحيدكم، وصلاحكم وسدادكم. وأمّا المعنى الذي بيّنت، ولتعليمه تحزمت، فكلـــه خـــير لا محذور فيه، ولا رائحة من شرك ولا من تكذيب النبي ﷺ، بل هو أقر للعين، وفيه نجاة من الثقلين، فاقبلوه وكونوا من الشاكرين.

وكيف تظنون في الذي هو في زعمكم من أبناء الغِيد، وتفوَّقَ مِـــن رَأْدٍ ضـــعيفة لا من الشيطان المريد، أنه يتقوى كالشياطين، ويشـــابهه في بعـــض الأغـــاريد، بـــل يكون أزيد منهم ويصلب كالحديد. ويكون لـــه جسم لا يسع إلا في سبعين باعًا. تفكروا يـــا ذريـــة الحُرَّينِ! أيجوز أن يتعطل الله في وقت خروجه، ويقدر الدجـــال على كل أمر وكل ضيم. وتصير تحت أمره شمس وقمر ونـــار وماء وجنةٌ وخزائن الأرض وقطعة كل غيم. ويطوف على كـــل الأرض في ســـاعة، ويدخـــل المشارق والمغارب تحت لواء الطاعـــة، ويضـــع الفأس على رأس الناس، ويجعلهم شِقَّيـــن ثم يحيـــــيهم مرة أخرى، ويري الخلق كذب آية الفرقان: ﴿فيمسك التي قضى عليها الموت﴾،[1] ويكون على كل شيء من الفعـــالين؟ يسحق التوحيد تحت أرجله وكان به من المستهزئين؟ سبحان ربنا عما يصفون، والحمد لله رب العالمين.

أيهـــا الـــناس.. إن تحت هذا النبأ سرٌّ، وفهم السر برٌّ، فاقبلوه بوجـــه طلـــيق وكونـــوا مسعدين. يرحم الله عليكم وهو أرحم الراحمين.

أيها الأعزة، هي العقيدة التي علّمني الله من عنده وثبّتني عليها، فمـــا استصـــوبه بعض الغبِيّين، وما استجادوا قولي هذا وارتابوا

[1] *سورة الزمر: ٤٣*

واستنكروا واستعجلوا في إكفاري، وما أحاطوا على بِطانتي ولا ظِهارتي ولا سِراري، ونحتوا بهتانات وأكفروا وجاءوا بمفتريات كالشياطين، ليفرُط بتلك المروش إليّ ذم، أو يلحقني وَصْمٌ، وليختلبوا القلوب بمزخرفاتهم، وأتراءى في أعين الناس من الكافرين. ورأيت نفوسهم قد ثعَطت وثلَطت، وقرِحت وتعفنت من حقد وغل، وصاروا من الذين يُصعِرون ويُصلِقون، ويؤذون الناس بجُمَة نطقهم، وينضنضون لُسْنَهم كصِلٍّ، وما بقي فيهم من حبّ ولا لبّ، كأنهم في غيابة جُبّ، ومن المغرقين.

أيها الأعزة، إني دعوت قومي ليلا ونهارا، فلم يزدهم دُعائي إلا فرارًا، ثم إني دعوتهم جهارًا، ثم إني أعلنتُ لهم وأسررتُ لهم إسرارا، فقلتُ استغفروا ربكم واستخيروا واستخبروا، وادعوا الله في أمري يمددكم بإلهامات ويُظهر عليكم أخبارًا، فما سمعوا كلمتي، وأعرضوا عتوًّا واستكبارًا، ورضوا بأن يكونوا لإخوانهم مكفرين. وما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بأحاديث شاهدة على ذلك إن كنتم صادقين. وهم يدرسون كتاب الله ويجدون فيه كل ما قلتُ لهم، ويقرؤون الصحاح ويجدون فيها ما أظهرتُ عليهم، ولكن ختم الله على قلوبهم وكانوا قوما عمين.

ولستُ أرى أن الأحاديث كلّها موضوعة على التحقيق، بل بعضها مبنية على التلفيق، ومع ذلك فيها اختلافات كثيرة، ومنافاة

كبيرة، ولأجل ذلك افترقت الأمة، وتشاجرت الملة، فمنهم حنبلي وشافعي، ومالكي وحنفي، وحزب المتشيّعين. ولا شك أن التعليم كـــان واحـــدا، ولكن اختلفت الأحزاب بعد ذلك، فترون كل حـــزب بما لديهم فرحين. وكل فرقة بنى لمذهبه قلعة، ولا يريد أن يخرج منها ولو وجد أحسن منها صورة، وكانوا لعَماسِ إخوانهم متحصنين. فأرسلني الله لأستخلص الصياصي، وأستدني القاصي، وأُنذر العاصي، ويرتفع الاختلاف ويكون القرآن مالِكَ النواصي، وقِـــبلةَ الديـــن. فلما جئتهم أكفروني وكذبوني ورموني ببهتانات وإفـــك مبين. وإني أرى علمهم مخسولا، وجِيْدَ تناصُفِهم مغلولا، وصُنْعَ عُذْراتهم مطلولا، وأرى صورهم كالممسوخين.

وقد بعثني الله فيهم حكما فما عرفوني وحسبوني من الملحدين. آذوني بحصائد ألسنتهم، ورأيت منهم ظلمًا وهضمًا كثيرًا، وقلّبوا لي الأمـــور، وأرادوا أن يتخطفوني من الأرض، ولكن عصمني الله من شرورهم وهو خير العاصمين. ورأيت كل أحد منهم مارًّا في عَشْواه، وتاركًا سبيل رسول الله ﷺ وهداه، فقلت: أيها الحسداء الجهـــلاء.. أســـأتم فـــيما صنعتم، وحرَنتم فيما ظننتم. تجلِدون للاجـــتلاد، وأنا تحت أتراس الله حافظِ العباد، ولن تستطيعوا أن تضـــروني ولو أمحشَ الحقد جلودكم، وسوّد الغيظ خدودكم. يا حسرة عليكم! ما أرى فيكم المتضرع الخائف، خرِف التَّمْر وبقي

خـــرائفُ. وما أرى فيكم رائحة الحياة.. إن أنتم إلا كالأموات، وإن أنتم إلا كمذعوفين.

وأيمُ اللهِ.. لطالمـــا قلت لهم: ألا لا تردوا مخاوفَ الإكفار، فإنها مقـــاحم الأخطار وفلوات التبار. تعالوا أَنْفِ ما رابكم، وأستسلّ كل سهمٍ نابَكم، فما كفّوا ألسنتهم، وما جاءوني كتقيّ أمين.

ثم قلـــت: أيهـــا العلماء، أرُوني نصوص كتاب الله لأوافقكم، وأروني أثر رسوله ﷺ لأرافقكم، فإني ما أجد في كتاب الله وآثار رســـوله ﷺ إلا مـــوت المسيح بن مريم، فأروني خلاف ذلك إن زعمتموني من الكاذبين. وإن كنتم على بيّنة من عند ربكم.. فلم لا تـــأتونني بســـلطان مبين؟ وإن شئتم أن تختبروني فتعالوا عاينوا آيـــات صدقي أو أروني شيئا من آياتكم. فإن بدا كذب فمي.. فمزّقوا أدمي، وأريقوا دمي، وإن غلبتُ وظهر صدق قولي، فإليكم من حولي. واتقوا الله ولا تعتدوا أمام ربكم في العصيان، فإن عينه عـــلى طـــرق الإنســـان، وهو يرى كل خطواتكم، ويعلم دقائق خطـــراتكم، فما لكم لا تخافونه؟ قد نزل الله في عرائكم فقوموا لـــه قانتين.

الإيمان نور البشرية، ونور الإيمان عرفان، ومن فقدهما فهو دودة لا إنسان. من عرف السر فقد عرف البر، فقوموا وتجسسوا اللُّبّ الـــذي هـــو بـــاطن الباطن ومعنى المعنى ونور النور، ولا تفرحوا

بالقشور. الحياة الحياة! البصارة البصارة! ولا تكونوا كالميتين. هذا ما قلت لهم، وفوضت أمري إلى الله. هو ربي، وجيدي تحت نيره، وأعلم أنه لا يخذلني ولا يضيعني، ولا يجعلني من التائهين.

والآن أيها الأعزة.. أبيّن لكم بعض حلمي ومكاشفاتي، **رأيت** فيها رسول الله ﷺ بعد ما رأيته في مستطرَف الأيام، فجعلني كالعِرْدام، وأعدّني للاصْلِخْمام، لأحارب الفراعنة والظالمين.

أيها السادة.. إني رأيته مرات، بعد ما وجدت منه بركات وثمرات، فالآن أبيّن بعضها لكم لعلكم تتفكرون في أمري، ولعلكم تنظرون إليّ بعين المبصرين. فإن القوم فرّوا مني كثور الوحش، وتركوا شِطاط الإنسانية وحِزامتها، وكانوا كجذوة ملتهبة، وقاموا بفَديدٍ سَبُعِيٍّ وطبعٍ قِذَمٍّ كوَجينٍ. وأرَوني سُهوكةَ ريّاهم، وسهومةَ محيّاهم، واتفقوا على إيذائي وازدرائي ببغي وطغيان، وسابقوا في الافتراء كفرسَي رهان، لكي لا يكونوا في إخوانهم من المقرَعين. فلما رأيت أرضهم قَفْرًا، وسماءهم مصحِية، أعرضت وجئت حضرتكم بمائي المَعين.

أيها الأعزة والسادة.. جئناكم راغبين في خيركم بهدية فيها لبن أثداء الأمهات الروحانية، فتعالوا لشربه وأتوني ممتثلين. والآن أبين الرؤيا إراحةً للسامعين.

أيهـــا الكـــرام.. **رأيت** في المنام كأني في حلقة ملتحمة، ورفقة مـــزدحمة، وأبـــــين بعـــض المعـــارف بجأش متين، ولسان مبين للحاضـــرين. ورأيـــت أن المكان رَبع لطيف نظيف، ينفي التَّرَحَ رؤيـــتُه، ويسرّ الناظرين هيئته، وكنت أخال أنه مكاني، فحبذا هو مـــن مكان، رأيت فيه سيد المرسلين ﷺ. ورأيت عندي رجلا من العـــلماء.. لا بـــل مـــن السفهاء.. جاثيا على ركبته، ينكر علي لغباوته، ويكلب علي اللجاج لشقاوته، ورأيته كالحاسدين.

فاشتد غضبي وقلتُ: تعسًا لهؤلاء العلماء.. إنهم من أعداء الدين.

فقلـــت: هـــل من امرئ يخرجه من هذا المقام، كإخراج الأشرار واللـــئام، ويطهـــر المكان من هذا القرين الضنين؟ فقام رجل من خدامـــي، وهَمّ بإخراجه من أمام عيني ومقامي، ليؤمنني من ذلك الطـــنّين. فرأيت أنه أخذه وجعل يدفعه ويذُبّه ويذأَطه من المكان، ولـــه رطيط وكرب وفزع مع الاردمان، حتى أُخرج فأصبح من الغائبين.

فرفعت نظري فإذا حِذَتَنا رسول الله ﷺ قائم، وكأنه كان يرى كـــل ما وقع بيننا مواريا عيانَه. فأخذني هيبة من رؤيته، ونهضت أســـتقري مكانا يناسب شأنه، وقمتُ كالخادمين. فإذا دنوت منه ﷺ ونظـــرت إلى وجهـــه، فإذا وجهٌ قد رأيته من قبل.. ما رأيت وجهًا أحسن منه في الدنيا، فهو خاتم الحسينين والجميلين، كما أنه

خـــاتم النبـــيين والمرســـلين. ورأيت في يده كتابًا فإذا هو كتابي "**المرآة**"، الذي صنّفته بعد "البراهين". وكان قد وضع إصبعًا على محـــل فـــيه مدحُه، وإصبعًا على محل فيه مدح أصحابه، وقد قيّد لَحْظَـــه بهما وهو يتبسم ويقول: **هذا لي، وهذا لأصحابي**، وكان يـــنظر إليه كالقارئين. ثم انحدرت طبيعتي إلى الإلهام، فأشار الرب الكريم إلى مقام من مقامات "**المـــرآة**"، **وقال: "هذا الثناء لي"**. ثم استيقظت، فالحمد لله رب العالمين.

ورأيـــت في مـــنام آخر كأني صرت عليًا ابن أبي طالب ﷺ، والناس يتنازعونني في خلافتي، وكنت فيهم كالذي يُضام ويُمتهَن ويغشاه أدران الظنون وهو من المبرّئين. فنظر النبي ﷺ إلي.. وكنت أخال نفسي أنني منه بمنـــزلة الأبناء وهو من آبائي المكرمين. فقال وهو متحنن: **"يا علي..دَعْهم وأنصارهم وزراعتهم"**. فعلمت في نفســـي أنـــه يوصـــيني بصرف الوجه من العلماء وترك تذكرهم والإعـــراض عـــنهم وقطـــع الطمـــع والحنين من إصلاح هؤلاء المفســـدين. فإنهم لا يقبلون الإصلاح، فصرف الوقت في نصحهم في حكم إضاعة الوقت، وطمعُ قبول الحق منهم كطمع العطاء من الضـــنين. **ورأيت** أنه يحبّني ويصدّقني، ويرحم عليّ، ويشير إلي أن عُكّازته معي وهو من الناصرين.

ورأيتني في المنام عين الله، وتيقنت أنني هو، و لم يبق لي إرادة ولا خطرة ولا عمل من جهة نفسي، وصِرت كإناء منثلم بل كشيء تأبَّطَــه شيءٌ آخر وأخفاه في نفسه حتى ما بقي منه أثر ولا رائحة وصار كالمفقودين. وأعني بعين الله رجوع الظل إلى أصله وغيبوبته فيه، كما يجري مثل هذه الحالات في بعض الأوقات على المحبين.

وتفصــيل ذلك أن الله إذا أراد شيئًا من نظام الخير جعلني من تجلياته الذاتية بمنــزلة مشيّته وعلمه وجوارحه وتوحيده وتفريده، لإتمــام مــراده وتكمــيل مواعيده، كما جرت عادته بالأبدال والأقطاب والصديقين. فرأيت أن روحه أحاط علي واستوى على جسمي، ولفّني في ضمن وجوده حتى ما بقي مني ذرة وكنت من الغائبين. ونظرتُ إلى جسدي فإذا جوارحي جوارحه، وعيني عينه، وأذني أذنه، ولساني لسانه. أخذني ربي واستوفاني وأكد الاستيفاء حــتى كنــت من الفانين. ووجدت قدرته وقوته تفور في نفسي، وألوهيته تتموج في روحي، وضُرِبت حول قلبي سرادقات الحضرة، ودقــق نفســي سلطانُ الجبروت، فما بقيتُ وما بقي إرادتي ولا مُــناي، وانهدمــت عمــارة نفسي كلها، وتراءت عمارات رب العالمين. وانمحت أطلال وجودي، وعفت بقايا أنانيتي، وما بقيت ذرة من هويتي، والألوهية غلبت عليّ غلبة شديدةً تامةً، وجُذِبتُ إلــيها من شعر رأسي إلى أظفار أرجلي، فكنت لُــبًّا بلا قشور،

ودُهنًا بغير ثُفْل وبذور، وبُوعِدَ بيني وبين نفسي، فكنت كشيء لا يُـــرى، أو كقطـــرة رجعت إلى البحر، فستره البحر بردائه وكان تحت أمواج اليم كالمستورين.

فكنـــت في هـــذه الحالة لا أدري ما كنتُ من قبل وما كان وجـــودي، وكانـــت الألوهية نفذت في عروقي وأوتاري وأجزاء أعصـــابي، ورأيت وجودي كالمنهوبين. وكان الله استخدم جميع جوارحـــي، وملَكها بقوة لا يمكن زيادة عليها، فكنت من أخذه وتـــناولـــه كأني لم أكن من الكائنين. وكنت أتيقن أن جوارحي ليست جوارحي، بل جوارح الله تعالى، وكنت أتخيل أني انعدمت بكـــل وجودي، وانسخلت من كل هوييتي، والآن لا منازع ولا شـــريك ولا قابض يزاحم. دخل ربي على وجودي، وكان كل غضـــبي وحلمي، وحلوي ومرّي، وحركتي وسكوني لـــه ومنه، وصرت من نفسي كالخالين.

وبيـــنما أنا في هذه الحالة كنت أقول: إنا نريد نظامًا جديدًا.. سمـــاءً جديـــدة وأرضًا جديدة. فخلقتُ السماوات والأرض أولا بصورة إجمالية لا تفريق فيها ولا ترتيب، ثم فرقتها ورتّبتها بوضع هـــو مـــراد الحق، وكنت أجد نفسي على خلقها كالقادرين. ثم خلقـــت السماء الدنيا وقلت: إنا زَيَّنَّا السماء الدنيا بمصابيح. ثم قلت: الآن نخلق الإنسان من سلالة من طين.

ثم انحدرتُ من الكشف إلى الإلهام فجرى على لساني: "أردتُ أن أســـتخلف فخلَقتُ آدم، إنا خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، وكنا كذلك خالقين".

وألقـــي في قلبي أن الله إذا أراد أن يخلق آدم فيخلق السماوات والأرض في ســـتة أيـــام ويخلـــق كـــل ما لا بد منه في السماء والأرضـــين. ثم في آخر اليوم السادس يخلق آدم، وكذلك جرت عادته في الأولين والآخرين.

وألقـــي في قلـــبي أن هذا الخلق الذي رأيته إشارة إلى تأييدات سماوية وأرضية، وجعلِ الأسباب موافقة للمطلوب، وخلـــقِ كل فطرة مناسبة مستعدةً للحوق بالصالحين الطيبين. وألقي في بالي أن الله يـــنادي كل فطرة صالحة من السماء ويقول: كوني على عُدّة لنصرة عبدي وارحلوا إليه مسارعين. ورأيت ذلك في ربيع الثاني سنة **١٣٠٩هـ**. فتبارك الله أصدق الموحين.

ولا نعـــني بهـــذه الواقعـــة كما يعنى في كتب أصحاب وحدة الوجود، وما نعني بذلك ما هو مذهب الحلوليين، بل هذه الواقعة توافـــق حديـــث النبي ﷺ، أعني بذلك حديث البخاري في بيان مرتبة قرب النوافل لعباد الله الصالحين.

أيها الأعزة.. الآن أقص عليكم من بعض **واقعات** غيبية أظهرني ربي علـــيها ليجعلها آيات للطالبين. فمنها أن الله رأى أبناء عمي،

وغيرهم من شعوب أبي وأمي، المغمورين في المهلكات، والمستغرقين في السيئات، من الرسوم القبيحة والعقائد الباطلة والبدعات، ورآهم منقادين لجذبات النفس واستيفاء الشهوات، والمنكرين لوجود الله ومن المفسدين. ووجدهم أجهلَ خَلْقه بما يهذّب نفوسهم، وأَلَدَّهم للدنيا الدنية، وأذهلَهم عن ذكر الآخرة، وأغفلَهم عن جلال الله وسطوته وقهره وجوده وأمور العاقبة، والعاكفين على طواغيت الرسوم، الغافلين عن عظمة الله القيوم، والمنكرين للنبي المعصوم، ومن المكذبين. ورأى أنهم يأمرون بالمنكر والشرور، وينهون عن المعروف والخبر المأثور، ويطيلون الألسنة بتوهين رسول الله ﷺ والاستخفاف به، وصاروا للإلحاد والارتداد من المتشمرين. ورأى أنهم يسعون تحت الآثام إلى الآثام، ولا يخافون غضب الله الملك العلام، ولا يتوبون من سب رسول الله ﷺ بل كانوا عليه من المداومين. وكانوا لا يحفظون فروجهم، ولا يتركون دَوْرَقَهم ودُروجهم، وكانوا على هجو الإسلام من المصرين. وكانوا يغضبون غضب السباع مع ظلمة المعاصي والظلم والإيقاع، كأنهم سحاب ركام فيه شغب الرعد والبرق والصاعقة، ولا يخرج قطرة وَدَقٍ من خلاله، فنعوذ بالله من شر المعتدين.

وبينما هم كذلك إذ **اصطفاني** ربي لتجديد دينه، وإظهار عظمة نبيه ونشر رَيّا ياسمينه ﷺ، و**أمرني** لدعوة الخلق إلى دين الإسلام،

وملـــة خير الأنام، و**رزقني** من الإلهامات والمكالمات والمخاطبات والمكاشـــفات رزقًـــا حسنًا، و**جعلني** من المحدَّثين. فبلغ هذا الخبر وهـــذه الدعـــوة وهذا الدعوى أبناءَ عمي وكانوا أشد كفرًا بالله ورســـوله ومـــنكرين لقضـــاء الله وقدره ومن الدهريين. فاشتعل غضبهم حسدًا من عند أنفسهم، فطغوا وبغوا، واستدعوا الآيات اســـتهزاءً، وقـــالوا لا نعلم إلـــهًا يكلم أحدًا، أو يقدر أمرًا، أو يوحي إلى رجل وينبئ من شيء، إن هو إلا مكر مستمر قد انتاب من الأولين. وكله كيدٌ وخَتْرٌ وذَلاقةُ لُسْنٍ، فليأتنا بآية إن كان من الصادقين. وكانوا يستهزئون بالله ورسوله ويقولون - قاتلهم الله - إن القرآن من مفتريات محمد (ﷺ) وكانوا من المرتدين. وكان القـــوم كله معهم، ولا يمنعونهم من هذه الكلمات ولا يراجعون، فكـــانوا يزيدون يومًا فيومًا في كفرهم وطغيانهم، ولم يكونوا من المزدجرين.

فاتفق ذات ليلة أني كنت جالسًا في بيتي، إذ جاءني رجل باكيًا، ففزعت من بكائه فقلت: أجاءك نعي موت؟ قال: بل أعظم منه. إني كنـــت جالسًـــا عند هؤلاء الذين ارتدوا عن دين الله، فسبّ أحدهـــم رســـولَ الله ﷺ سبًّا شديدًا غليظًا ما سمعت قبله من فم كافـــر، ورأيـــتهم أنهم يجعلون القرآن تحت أقدامهم، ويتكلمون بكلمات يرتعد اللسان من نقلها، ويقولون إن وجود البارئ ليس

بشـــيء، وما من إله في العالم، إن هو إلا كذب المفترين. قلـــتُ: أوَ لم حذّرتك* من مجالستهم.. فاتق الله ولا تقعد معهم وكن من التائبين.

وكذلـــك ســـدَروا في غَلَواهم، وجمحوا في جهلاهم، وسدَلوا ثـــوب الخـــيلاء يومًـــا فيومًا حتى بدا لهم أن يشيعوا خزعبلاهم، ويصطادوا السفهاء بتلبيساهم، فكتبوا كتابًا كان فيه سبّ رسول الله ﷺ وسبّ كلام الله تعالى، وإنكار وجود البارئ عز اسمه، ومع ذلك طلبوا فيه آيات صدقي مني وآيات وجود الله تعالى، وأرسلوا كـــتابهم في الآفاق والأقطار، وأعانوا بها كفرة الهند، وعتَوا عُتُوًّا كبيرًا، ما سمع مثله في الفراعنة الأولين.

فـــلما بلغـــني كـــتابهم الذي كان قد صنفه كبيرهم في الخبث والعمـــر، ورأيـــتُ فـــيه سبّ رسول الله ﷺ سبّا ينشق منه قلب المؤمـــنين، وتـــتقطع أكباد المسلمين، ورأيتُ فيه كلمات الأراذل والســـفهاء، وتوهـــين الشـــريعة الغراء، وهجو كلام الله الكريم، **فغضـــبت أسفا**، ونظرت فإذا الكلماتُ كلمات تكاد السماوات يـــتفطرن مـــنها. فتحدرت عبرات من مَذارف مآقي، وتصعدت زفـــراتي إلى الـــتراقي، وغلب علي بكاء وأنين. فغلّقت الأبواب، ودعـــوت الـــرب الوهـــاب، وطرحت بين يديه، وخررت أمامه

* *سهو، والصحيح: أو ما حذّرتك.*

ســـاجدًا، وقرِمـــتُ إلى نُصرته متضرعًا، وفعلتُ ما فعلتُ بلساني وجـــناني وعيناي ما لا يعلمها إلا رب العالمين. وقلتُ: يا رب.. يـــا رب انصر عبدك واخذل أعداءك. استجبني يا رب استجبني. إلامَ يُســـتهزأ بـــك وبرسولك؟ وحتّامَ يكذّبون كتابك ويسبّون نبيك؟ برحمتك أستغيث يا حي يا قيوم يا معين.

فـــرحم ربي على تضرعاتي وزفراتي وعبراتي، وناداني وقال: إني رأيت عصيانهم وطغيانهم، فسوف أضربهم بأنواع الآفات، أُبيدهم مـــن تحت السماوات، وستنظر ما أفعل بهم، وكنا على كل شيء قادرين. إني أجعل نساءهم أرامل، وأبناءهم يتامى، وبيوتهم خربةً، ليذوقوا طعم ما قالوا وما كسبوا، ولكن لا أهلكهم دفعة واحدة، بـــل قلـــيلا قليلا لعلهم يرجعون، ويكونون من التوابين. إن لعنتي نازلـــة علـــيهم وعـــلى جدران بيوتهم وعلى صغيرهم وكبيرهم ونســـائهم ورجـــالهم ونزيلهم الذي دخل أبوابهم، وكلهم كانوا ملعونين. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وقطعوا تعلقهم منهم، وبعُدوا من مجالسهم، فأولئك من المرحومين.

هـــذه خلاصة ما ألهمني ربي، فبلّغت رسالات ربي، فما خافوا ومـــا صدقوا، بل زادوا طغيانًا وكفرًا، وظلّوا يستهزئون كأعداء الديـــن. فخاطـــبني ربي وقال: إنا سنريهم آيات مُبكية، وننـــزل علـــيهم همومًا عجيبة، وأمراضًا غريبة، ونجعل لهم معيشة ضنكًا،

ونصبّ عليهم مصائب فلا يكون لهم أحد من الناصرين.

فكذلك فعل الله تعالى بهم وأنقض ظهورهم بأثقال الهموم والديون والحاجات، وأنزل عليهم من أنواع البلايا والآفات، وفتح عليهم أبواب الموت والوفاة، لعلهم يرجعون أو يكونون من المتنبهين. ولكن قست قلوبهم، فما فهموا وما تنبهوا وما كانوا من الخائفين.

ولما قرب وقت ظهور الآية اتفق في تلك الأيام أن واحدًا من أعزّ أعزّتهم الذي كان اسمه "أحمد بيگ"، أراد أن يملك أرض أخته التي كان بعلها مفقود الخبر من سنين، وكان هو ابن عمي، وكانت الأرض من ملكه، فمال أحمد بيگ أن يخلص الأرض من أيدي أخته ويستخلصها، وأن يستخرجها من قبضتها ثم يقتنصها، وأرادت هي أن تهبها وتمنّ على أخيها. وكنا لها ورثاء جميعًا على سواء، فرضي أبناء عمي لوجه بهذا، بما كانت أختهم تحته وبما كانوا له أقربين. كذلك. نعم، قد كان لي حق غالبًا عليهم، ولأجل ذلك ما كان لهم أن يهبوا الأرض قبل أن أرضى وأكون من الرّاضين.

فجاءت امرأة أحمد بيگ تطرح بين يدي لأترك حقي، وأرضى بهذه الهبة، ولا أكون من المنازعين. فكدتُ أرحم عليها وأهب الأرض لها تألّيفًا لقلوبهم لعلهم يتوبون ويكونون من المهتدين. ثم

خشـــيت شر الاستعجال، في مال الغائب الذي هو مفقود الخبر والحـــال، فخوّفـــني تَـــبِعةُ أثماره وما فيه من الوبال. فاستحسنتُ اســـتفتاء العليم الحكيم، وترقُّب إعلام الرب الرحيم، لأكون بَرِيًّا من غصب حق غائب، ولا أكون من ضيمي كقائبٍ، وأخرج من الذين يظلمون شركاءهم ويتركونهم كخائب، وكانوا في حقوقهم راغـــبين، ولا يخافون أن يأخذوهم مفاجئين. فارتدعت عن الهبة ارتـــداع المرتاب، وطويت ذكره كطيِّ السجلّ للكتاب، وكنت لحكم الله من المنتظرين.

وكنت أظن أن هذا يوشك أن يكون، وما كدت أن أظن أنها قضـــية قد أراد الله بها ابتلاء قوم كانوا من المعتدين، الذين غلبت علـــيهم المجون والخلاعة والإباحة والدهرية، والتحقوا بالكفار بل كـــانوا أشد كفرًا منهم وكانوا قومًا فاسقين. فقلت لامرأة أحمد بيـــگ: ما كنت قاطعًا أمرا حتى أؤامر الله تعالى فيه، فارجعي إلى خِدْرك، وبلّغي ما سمعت أبا عُذْرك، وستجدينني – إن شاء الله – من المخلصين.

فذهبت، وأتى بعلها يسعى، فألح عليّ كالمضطرين، وكان يخبِط كخـــبط المصـــابين، حتى أبكاه كُرْبتُه، وذوَتْ سكينته، وفاءَ إلى التضـــرع والاقشعرار، وكان أحشاؤه قد التهبت بطَوَى العَقار، وكـــان يتـــنفس كالمخنوقين. ووجدته بوَجْدِه المتهالك كأنّ الهم

سيجدله، والغم يُفيح دمه، ويصول عليه الحزن كمغتالين. فلما رأيت صَغْوَه وحزنه قد بلغ مراتب كماله، أخذني التحنن على حاله، وأشفقت على عينه ومبكاها، وقصدتُ أن أُريه يد النصرة وجدواها وعدواها، فأسرعت إلى تسليته كالمواسين. فقلت له: والله ما زاغ قلبي وما مال، وما أنا من الذين يحبون المال، بل من الذين يتذكرون المآل والآجال، ولستُ شحيحًا على النعم كالذين هم كالنَّعم، وإنني أرحم عليك وسأُحسن إليك، وأعلم أن أنفَسَ القربات تنفيس الكربات، وأمتَنَ أسباب النجاة مواساة ذوي الحاجات، وكنت لنصرتك من المتأهبين. ولكن أيم الله، لقد عاهدت الله على أنني لا أميل إلى أمرٍ فيه شبهة، ولا أضع قدمًا في موضع فيه زلة، ولا أتلو المتشابهاتِ حتى أؤامر ربّي فيها، فالآن أفعل كذلك وأرجو من الله خيرًا، فلا تكوننّ من القانطين. وإني أرى أن المؤامرة أقرب للتقوى، لأن الوارث مفقود، وما نتيقن أنه مات أو هو حي موجود، فلا يجوز أن يستعجل في ماله كمال الميتين. فالأولى أن تقصُر عن القيل والقال، حتى أؤامر ربي عالم الغيب ذا الجلال، وأستقري سبل اليقين. قال: ما مني خلاف، فلا يكن لوعدك إخلاف. قلت: كل وعدي مشروط بأمر رب العالمين. فذهب وكان مِن وجده الذي تيّمه كالمعتلّين.

فتيمّمـــت حجرتي، والتزمت زاوية بقعتي، أتجشم إلى الله تعالى ليظهر عليّ أمره، ويفلق حَبَّ الحقيقة من نواتها، ويُري لبّ الأمر وقشـــره. فوالله ما أمسكتُ ريثما يُعقَد شِسْع، أو يُشَدّ نِسْع، إذا الوسَن أسرى إلى آماقي، وأُلهمتُ من الله الباقي، وأُنبِئت من أخبار ما ذهب وَهْلي قط إليها وما كنت إليها من المستدنين. فأوحى الله إلي أن اخطُبْ صبيته الكبيرة لنفسك، وقل لـــه: ليصاهرك أولا ثم ليقتبس من قبسك، وقل: إني أُمرت لأهبك ما طلبتَ من الأرض، وأرضًـــا أخرى معها، وأُحسن إليك بإحسانات أخرى، على أن تُـــنكحني إحـــدى بناتك التي هي كبيرتها، وذلك بيني وبينك فإن قبلت فستجدني من المتقبلين. وإن لم تقبل فاعلم أن الله قد أخبرني أن إنكاحها رجلا آخر لا يبارَك لها ولا لك، فإن لم تزدجر فيصبّ علـــيك مصائب، وآخر المصائب موتك، فتموت بعد النكاح إلى ثـــلاث سنين، بل موتك قريب، ويرِد عليك وأنت من الغافلين. وكذلـــك يموت بعلها الذي يصير زوجها إلى حولين وستة أشهر، قضـــاءً مـــن الله، فاصنع ما أنت صانعه، وإني لك لمن الناصحين. فعبس وتولى وكان من المعرضين.

ثم كتبت إليه مكتوبا بإيماء منّاني، وإشارة رحماني، ونمّقت فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد.. فاسمع أيها العزيز! ما لك اتخذت جدّي عبثا، وحسبتَ تـــبري خبثا؟ ووالله ما أريد أن أشقّ عليك، وستجدني إن شاء الله من المحسنين. وها أنا أكتب بعهد موثق، فإنك إن قبلتَ قولي على رغـــم أنف قبيلتي، فأفرض لك حصة في أرضي وخميلتي، ويرتفع الخلاف والنـــزاع بهذه الوصلة من بيننا، ويصلح الله قلوب شعبي وعشـــيرتي، وفي كل مُنيتك أقتفي صَغْوَك، وأزيل قَشْفَك، فتكون من الفائزين لا من الفائزين.

والحـــق والحـــق أقول.. إني أكتب هذا المكتوب بخلوص قلبي وجناني، فإن قبلت قولي وبياني، فقد صنعت لطفًا إليّ، وكان لك إحســـانا عليّ، ومعروفًا لدي، فأشكرك وأدعو زيادة عمرك من أرحـــم الراحمين. وإني أقيم معك عهدي، أني أعطي بنتك ثُلْثًا من أرضـــي ومـــن كل ما ملكته يدي، ولا تسألني خُطة إلا أعطيك إياهـــا، وإني من الصادقين. ولن تجد مثلي في رعاية الصلة ومودة الأقارب وحقوق الوُصلة، وتجدني ناصر نوائبك، وحامل أثقالك، فـــلا تضـــيّع وقتك في الإباء، ولا تستنكر حِبَّك ولا تكونن من الممترين.

وهـــا أنا كتبت مكتوبي هذا من أمر ربي لا عن أمري، فاحفَظْ مكتوبي هذا في صندوقك فإنه من صدوق أمين. والله يعلم أنني فيه

صـــادق، وكـــل ما وعدت فهو من الله تعالى، وما قلت إذ قلت ولكـــن أنطقـــني الله تعـــالى بإلهامه، وكانت هذه وصية من ربي فقضيتها. ما كان لي حاجة إليك وإلى بنتك، وما ضيق الله علي، والنساء سواها كثيرة، والله يتولى الصالحين. فلا تنظر إلى مكتوبي بعـــين الارتـــياب، فإنـــه كتبـــته بإمحاض النصح والتزام الصدق والصـــواب، ودَعِ الجدال وانتظر الآجال، فإن مضى الأجل وما حصحص الصدق فاجعل حبلا في جيدي، وسلاسلا في أرجلي، وعذِّبْني بعذاب لم يعذب به أحد من العالمين.

كنتم قد طلبتم آية من ربي، فهذه آية لكم. إنه يأخذ المنكرين من مكان قريب، ويختار ما كان أقرب التعذيبات في حقهم، وأدنى مـــن أفهامهم، وأشد أثرًا في أعراضهم وأجسامهم، ليري المحتالين ضعفهم ويكسر كبر الضائمين.

هذا ما كتبتُ إلى أحمد بيـــگ في سنة ١٣٠٤، فأعرض وأبى، وسكت وبكت، وعاف وُصْلتي وصلتي، وضاق ذرعًا من نميقتي، وكـــان مـــن المعـــادين. ومعه عاداني قومه وعشيرته الذين كانوا أقربين. وكانوا يعافون أن يزوّجوا بناتِهم أقاربَ مثلي، أو يزوجوا امـــرأً تحته امرأة أخرى. وكانت بنته هذه المخطوبة جاريةً حديثة الســـن عـــذراء، وكنت حينئذ جاوزت الخمسين. وكان جذوة المعـــاداة متطايرة، ونارها ملتهبة، فزيّن القدر لنَصَبِه ووَصَبِه هذه

الموانـــع في عينيه، فصار من المرتدعين. وكان يعلم صدقي وعفتي، وبالله ثقتي ومِقتي، ولكن غلبت عليه الشَّقْوة وأنساه عاهتُه نباهتي، فكان من المنكرين المعرضين.

وما عراني حزن من ذلك الإنكار، بل فرحت فرحة المطلق من الإســـار، وهزة الموسر بعد الإحسار، وكنت كتبتُ إليه بإيماء الله القهـــار، فعلمتُ أن الله أتم حجته عليه وعلى عشيرته و لم يبق له الاعـــتذار، وعلمـــت أنه سيجعل كلماتي حسراتٍ على قلوبهم فسيذكرونها باكين.

ثم غلب قلبَه ذعر وضجر، وفجعه إلهامي، فمكث خمس سنين لا يـــزوج أحـــدًا بنـــته ولا يخطـــب خيفة من وعيد الله، وصار كالمتشحطين. فلما أنكحها فما مضى عليه إلا قريبًا من ستة أشهر إلا وقـــد أخذه الله وسلّط عليه داءً كالأرضة، وفوضه إلى قبضة المرضـــة، وعَرْكة الوعكة، إلى أن أذهب حواسَّه الأَنَفُ، واستشفّه الـــتلف، حتى نضَّى عنه قدر الله ثوب المحيا، وسلمه إلى أبي يحيى، ومـــات بميتةٍ محسرة، ونارٍ تطلع على أفئدةٍ، ورحل بالكربة والغم الغابـــر، وكـــم حســـرات في بطون المقابر، وإن في هذا لآيات للمنكرين.

وعرا أهلَه وأقاربه ضجر ومصيبة، كانوا يضربون وجوههم من وبالِ الدُّرَخْمين. وهم الذين كانوا يقولون ما نعلم ما الله، إن هي

إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين. فوجدوا وجدًا عظيما لفوت لقياه، وانقطاع سقياه، وبما رأوا أن الإلهام قد أرى سناه، وتراءت من كشف ساقه ساقاه، وظهرت من بدء أمره منتهاه، فكانوا مع حزنهم متخوّفين. ما تمضمضتْ مُقلتهم بنومها في تلك الأيام، ولا تمخضت ليلتهم عن يومها لغلبة هذا الظلام، وأحلّهم نزيل المصائب، فأحضروه شِواةَ الكبد وماء الأنين. فلما بلغهم نعيُ الحِمام، ووعيُ اللاطمات على وجوهَهم والحاطماتِ هامَهم بذكر الراحل عن المقام، انثالوا إلى عَقْوته موجفين، وإلى دويرته الخريبة موفضين. فأسالوا الغروب، وعطّوا الجيوب، وصكّوا الخدود، وشجّوا الرؤوس، وكانت النساء قلن في نياحتهم: قد أصبح اليوم عدونا، الذي أنبأنا قبل الوقت، من الصادقين.

فتفكروا أيها الطلاب.. **أهذا أضغاث أحلام؟ أهذا افتراء إنسان؟** واسألوا أهل المتوفى الذين يتندمون في أنفسهم، ويبكون على ميتهم، ويقولون: يا ويلنا إنا كنا خاطئين. وهنّأني ربّي وقال: (إنا مهلكو بعلِها كما أهلكنا أباها، ورادّوها إليك. الحق من ربك فلا تكونن من الممترين. وما نؤخّره إلا لأجل معدود. قل تربصوا الأجل وإني معكم من المتربصين. وإذا جاء وعد الحق.. أهذا الذي

كذبتم به أم كنتم عَمِين). هذا ما بشِّرتُ من ربي، فالحمد لله رب العالمين.

ورأيـــت في منام كأني قائم في موطن وفي يدي سيف مسلول، قائمـــه في أكفي وطرفه الآخر في السماء، وله برق ولمعان، يخرج مـــنه نـــور كقطرات متنازلة حينا بعد حين. وإني أضرب السيف شمالا وجنوبًا، وبكل ضربة أقتل ألوفًا من أعداء الدين.

ورأيت في تلك الرؤيا شيخا صالحًا اسمه **عبد الله** الغزنوي، وقد مـــات من سنين، فسألته عن تأويل هذه الرؤيا، فقال: أما السيف فهـــي الحجـــج التي أعطاك الله ونصرك بالدلائل والبراهين. وأما ضربك إياه شمالا وجنوبًا فهو إراءتك آيات روحانية سماوية وأدلة عقلية فلسفية للمنكرين. وأما قتل الأعداء فهو إفحام المخاصمين، وإسكاتهم منها. هذا تأويل رؤياك وأنت من المؤيدين. وقد كنت في أيـــامي الـــتي كنت في الدنيا أرجو وأظن أن يخرج رجل بهذه الصـــفات، ومـــا كنـــت أستيقن أنه أنت وكنتُ عن أمرك من الغافلين.

ومنها أن الله بشرني وقال: "سمعتُ تضرعاتك ودعواتك، وإني معطيك ما سألت مني وأنت من المنعمين. وما أدراك ما أعطيك؟ آيـــة رحمـــةٍ وفضـــلٍ وقربةٍ وفتحٍ وظَفَرٍ. فسلام عليك أنت من

المظفَّرين. إنا نبشرك **بغلام** اسمه **عنموايل** * **وبشير**. أنيق الشكل دقيق العقل ومن المقربين. يأتي من السماء، والفضل ينزل بنزوله. وهو نور ومبارك وطيب ومن المطهرين. يُفشي البركات، ويغذي الخَلق من الطيبات، وينصر الدين. ويسمو ويعرج ويرقى، ويعالج كل عليل ومرضى، وكان بأنفاسه من الشافين. وإنه آية من آياتي، وعَلَمٌ لتأييداتي، ليعلم الذين كذبوا أني معك بفضلي المبين، وليجيء الحق بمجيئه، ويزهق الباطل بظهوره، وليتجلى قدرتي ويظهر عظمتي، ويعلو الدين ويلمع البراهين، وليُنجو طلاب الحياة من أكف موت الإيمان والنور، وليبعث أصحاب القبور من القبور، وليعلم الذين كفروا بالله ورسوله وكتابه أنهم كانوا على خطأ ولتستبين سبيل المجرمين. فسيعطى لك غلام ذكي من صلبك وذريتك ونسلك ويكون من عبادنا الوجيهين. ضيف جميل يأتيك من لدنا. نقي من كل دَرَنٍ وشَينٍ وشَنار وشرارة، وعيب وعار وعرارة، ومن الطيبين. وهو كلمةً الله. خُلق من كلمات تمجيدية. وهو فهيم وذهين وحسين. قد ملئ قلبه علمًا، وباطنه حلمًا، وصدره سلمًا، وأعطي له نفَسٌ مسيحي، وبورك بالروح الأمين. يوم الاثنين. فواهًا لك يا يوم

* *هذا اللفظ ورد في كتاب آخر لسيدنا أحمد عليه السلام بقراءة "عمّانوئيل"، ويبدو أنه الأصح. انظُرْ "أنجام آتهم"، الخزائن الروحانية ج ١١ ص ٦٢.*

الاثنين، يأتي فيك أرواح المباركين. ولد صالح كريم ذكي مبارك. مظهـــر الأول والآخـــر. مظهـــر الحق والعَلاء، كأن الله نزل من الســـماء. يظهـــر بظهوره جلال رب العالمين. يأتيك نور ممسوح بعطـــر الرحمن، القائم تحت ظل الله المنان. يفكّ رقاب الأسارى وينجي المسجونين. يعظم شأنه، ويُرفع اسمه وبرهانه، ويُنشَر ذكره وريحانـــه إلى أقصى الأرضين. إمام هُمامٌ، يبارَك منه أقوام، ويأتي معه شفاء ولا يبقى سَقام، وينتفع به أنام. ينمو سريعًا سريعًا كأنه عِـــردام، ثم يرفع إلى نقطته النفسية التي هي لـــه مقام. وكان أمرًا مقضيًا، قدّره قادر علام. فتبارك الله خير المقدرين."[1]

---

[1] قد أخبر رسول الله ﷺ أن المسيح الموعود يتزوّج ويولد لـــه. ففي هذا إشـــارة إلى أن الله يعطيه ولدًا صالحًا يشابه أباه ولا يأباه، ويكون من عباد الله المكرمين. والسر في ذلك أن الله لا يبشر الأنبياء والأولياء بذرية إلا إذا قدر توليد الصالحين. وهذه هي البشارة التي قد بُشرت بها من سنين ومن قبل هذه الدعوى، ليُعرفني الله بهذا العلم في أعين الذين يستشرفون وكانوا للمسيح كالمجلوذين.

وأمـــا دفـــن المسيح في قبر رسول الله ﷺ كما جاء في الحديث فهذا سرّ معكـــوم ورمـــز مختوم، لا يعرفه إلا الذين يعلّمون من ربهم من الملهمين المعـــزّزين. وحقيقته أن الله تعالى قد جعل قبر نبيه ﷺ مقرونا بالجنة، فهما صِنوانِ من شجرة نور الحق، لا ينفك أحدهما من الآخر، وقِرابانِ للمعاتٍ مخفـــيةٍ واصلة إلى الواصلين. وقد جرت عادة الله تعالى أنه يُدني قـــبر⇦

ورأيـــت في المـــنام كأني أسرجتُ جوادي لبعض مرادي، وما أدري أيـــن تأهّبي وأيّ أمر مطلبي، وكنتُ أحس في قلبي أنني لأمر مـــن المشـــغوفين. فامتطيتُ أجرَدي باستصحاب بعض السلاح، مـــتوكلا عـــلى الله كسنة أهل الصلاح، و لم أكن كالمتباطئين. ثم وجدتني كأني عثرتُ على خيل قصدوا متسلحين داري لإهلاكي وتباري، وكأنهم يجيئون لإضراري منخرطين. وكنتُ وحيدًا، ومع ذلك رأيتني أني لا ألبَس من خُوذ، غيرَ عُدَدٍ وجدتها من الله كعُوذ، وقـــد أنفتُ أن أكون من القاعدين والمتخلفين الخائفين. فانطلقتُ مجـــدًّا إلى جهة من الجهات، مستقريًا إربي الذي كنت أحسبه من أكَـــبر المهمات وأعظم المثوبات، في الدنيا والدين، إذ رأيت ألوفًا مـــن الناس، فارسين على الأفراس، يأتون إلي متسارعين. ففرحت برؤيـــتهم كالخـــبّاس، ووجدتُ في قلبي حَولا للجِحاس، وكنت أتلوهم كتُلُوِّ الصيادين. ثم أطلقت الفرس على آثارهم، لأدرك من

⇔ رســـول الله ﷺ من المؤمن المتوفى كما يدني الجنة رزقًا منه وهو خير الـــرازقين. فـــإذا مات عبد له قرب ومصـــافاة بالله تعـــالى فيُدنى من قبر رسول الله ﷺ ومن الجنة بقدر هذا القرب والمصافاة في الدين. فالذي هو أشـــد قربًا ومصافاةً هو أشد قربا بقبر رسول الله، كأنه داخل فيه وضجيع خاتم النبيين. فخُذْ هذه التمرةَ، وإياك والجمرة، واعلم أن المسيح قد أُنـــزل على هذه الأرض كما خرج فيها الدجال، فلا تكن من المشائمين. منه.

فصِّ أخبارهم، وكنت أتيقن أنني لمن المظفرين. فدنوتُ منهم فإذا هـــم قـــوم دَروس البِزّةِ كريهُ الهيئة، مِيسمهم كميسم المشركين، ولباســـهم لـــباس الفاسقين، ورأيتهم مطلقين أفراسهم كالمغِيرين. وكنـــت أقـــيّد لحظي بأشباحهم كالرائين. وكنت أسارع إليهم كالكُماة، وكان فرسي كأنه يُزجيه قائد الغيب كإزجاء الحَمولات بـــالحُداة، وكنـــت على طلاوة إقدامه كالمستطرفين. فما لبثوا أن رجعوا متدهدهًا إلى خميلتي، ليزاحموا حولي وحيلتي، وليُتلفوا ثماري ويزعجوا أشجاري، وليشنّوا عليها الغارات كالمفسدين. فأوحشني دخولهم في بستاني، وأُدهشتُ بإغراقهم وولوجهم فيها، فضجرت ضـــجرًا شـــديدًا وقلِـــق جناني، وشهد توسمي أنهم يريدون إبادة أثمـــاري، وكسر أغصاني. فبادرتُ إليهم، وظننت أن الوقت من مَخاشِي اللأواءِ، وصارت أرضي موطن الأعـــداء، وأوجست في نفســـي خـــيفةً كالضعيفين المزؤودين. فقصدت الحديقة لأفتش الحقـــيقة. فـــلما دخلتُ حديقتي، واستشرفت بتحديق حَدَقتي، واستطلعت طِلْعَ مقامهم، رأيتهم من مكان بعيد في بحبوحة بستاني ســـاقطين مصروعين كالميتين. فأفرخَ كربي وآمنَ سِربي، وبادرت إليهم جَذِلاً وبأقدام الفرحين. فلما دنوتُ منهم وجدتهم أصبحوا فرســـى كمـــوت نفس واحد ميتـــين ذليلين مقهورين. سُلخت جلودهم، وشُجّت رؤوسهم، وذُعطت حلوقهم، وقطعت أيديهم

وأرجـــلهم، وصُـــرعوا كالممزَّقين، واغتيلوا كالذين سقط عليهم صـــاعقة فكانوا من المحرَقين. فقمت على مَصارعهم عند التلاقي، وعبراتي يتحدرن من مآقي، وقلتُ: يا رب، روحي فداء سبيلك، لقـــد تبتَ عليّ ونصرت عبدك بنصرةٍ لا يوجد مثله في العالمين. رب، قتلتَهم بأيديك قبل أن قاتلَ صِرْعانِ، وحاربَ حتْنانِ، وبارزَ قِـــتْلانِ، تفعـــل ما تشاء وليس مثلك فِي الناصرين. أَنت أنقذتني ونجيـــتني، وما كنت أن أُنجى من هذه البلايا لولا رحمتك يا أرحم الـــراحمين. ثم استيقظت وكنت من الشاكرين المنيبين، فالحمد لله رب العالمين.

وأوّلـــت هذه الرؤيا إلى نصرة الله وظفره بغير توسط الأيدي والأسباب، ليُتمّ علي نعماءَه ويجعلني من المنعمين. والآن أبين لكم تأويل الرؤيا لتكونوا من المبصرين.

فأمـــا شـــجّ الرؤوس وذَعْطُ الحلوق فتأويله كسر كبر الأعداء وقصم ازدهائهم وجعلهم كالمنكسرين.

وأمـــا تقطـــيع الأيـــدي فـــتأويله إزالة قوة المباراة والمماراة، وإعجازُهم وصدّهم عن البطش وحيلِ المقاومات، وانتزاعُ أسلحة الهيجاء منهم، وجعلُهم مخذولين مصدودين.

وأمـــا تقطـــيع الأرجل فتأويله إتمام الحجة عليهم وسدّ طريق المـــناص، وتغلـــيق أبواب الفرار وتشديد الإلزام عليهم، وجعلُهم

كالمسجونين. وهذا فعل الله الذي قادر على كل شيء، يعذب من يشاء ويرحم من يشاء، ويهزم من يشاء ويفتح لمن يشاء، وما كان لـــه أحد من المعجزين.

إن الذين كذبوا رسله، وآذوا عباده، وكفروا بآيات الله ولقائه، أولـــئك يئســـوا مـــن رحمته، وأرداهم ظنهم، وأهلكهم كبرهم، فحبطت أعمالهم وصاروا هالكين.

يـــا أيهـــا الذيـــن آمنوا اتقوا الله، ولا تتخلفوا عن داعي الله، وكونـــوا مع الصادقين. لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحتُ لكم، فكيف آسى على قوم لا يحبون الناصحين؟